المقدمة

أخى الواعظ : بصفة خاصة . .

أخى المسلم : بصفة عامة . .

منذ أن أكرمنى الله سبحانه وتعالى بالدعوة إليه ، من فوق منبر الرسول ﷺ . . وأنا أحرص كل الحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ فى وعظه وإرشاده . . بالإضافة إلى جمع أهم وصاياه العظيمة التى أحرص كذلك كل الحرص على حفظها وتذكير المسلمين بها وبغيرها من هدى الرسول ﷺ الوارد فى كتب السنة الصحيحة .

ولما كان موضوع هذا الكتاب الذى بين يديك هو عرض بعض النماذج الحية من : (خطب الرسول ﷺ) . . فإننى أحب أن أبشركما بأننى قد جمعت لكما فى هذا الكتاب أكثر من خمسين خطبة . .

كما قمت كذلك بتوفيق من الله تعالى بشرحها وبالتعليق عليها بأسلوب سهل ميسَّر حتى يستعين بها الأخ الواعظ - بصفة خاصة - فى وعظه وإرشاده على أساس من الفهم الصحيح . . (بل) وحتى تكون هذه الخطب - بالإضافة إلى غيرها من الأحاديث الواردة فى الشرح - خير زاد له فى وعظه وإرشاده ، وفى الطريق إلى الله تبارك وتعالى .

* (وذلك) لاعتقادى الجازم بأن الرسول ﷺ هو أعظم خطيب، وأعظم واعظ ومرشد على وجه الأرض . . (وحسبه) أن الله تعالى هو الذى تولَّى تأديبه . . (فقد) ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال له ذات يوم : يا رسول الله . . لقد طُفتُ قبائل العرب قبيلةً قبيلةً، فما رأيتُ أفصحَ منك . . فمَنْ أدَّبك؟ . فيقول له النبى ﷺ :

« **أدَّبنى ربِّى فأحْسَنَ تاديبى** » .

* (ولهذا) فقد أعطاه الله تعالى بعد ذلك شهادة عظيمة لم يُعطها لأحد قبله ، ولن يُعطيها لأحد بعده (وهى) : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(١) . . ثم بعد ذلك أوصانا الله تبارك وتعالى - كمؤمنين صادقين - بأن نقتدى به صلوات الله وسلامه عليه . . فقال مخاطباً إيانا إلى يوم الدين :

﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾(٢) .

فليسعد الأخ الواعظ بهذا الزاد المحمدى من (خطب الرسول ﷺ) . . وليكن خير ناشر له وداع إليه من فوق منبر الرسول ﷺ . . ومن خلال سلوكياته التى أرجو أن تكون مؤكدة للمستمعين إليه بأنه قد انتفع به أولاً حتى يُقبلوا عليه وينتفعوا بعلمه . . وإلا كان العكس هو

---

(١) سورة القلم : ٤ .
(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

الصحيح . . كما يُشير أحد الصالحين إلى هذا فى قوله :

مَـواعظُ الوَاعِظِ لَنْ تُـقْـبَـلا ... حـتَّى يَعِـيـهَـا قلبُـه أوّلاَ
يا قَـومُ مَنْ أظلمُ مِـنْ واعظ ... خَـالفَ مـا قَـدْ قَـالَهُ فى المَـلاَ
أظهـرَ بـينَ الخَلْقِ إحْـسَـانَهُ ... وخـالفَ الرحـمَـنَ لمّـا خَـلاَ

* (وحسبه) تحذيراً له من هذا . . أو من مثل هذا . . قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١) .

* (هذا) وقد رأيتُ كذلك فى ختام هذا العرض المبارك لخطب الرسول ﷺ وشرحها . . أن أذكّركُما ونفسى ببعض ما حدث فى يوم وفاة الرسول ﷺ . . مع التعليق عليه . . (وذلك) حتى ننتفع به (كذلك) . . (بل) وننفع به غيرنا من المسلمين والمسلمات . .

والله ولى التوفيق .

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى

---

(١) سورة الصف : ٣ . . و (المقت): أشد البُغض .

التعريف بالخطابة والخطيب

قال فى «دائرة المعارف»: الخُطبة: اسم ما يُخطب به من الكلام، ومنه خطبة الجمعة.

والخطابة كما يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى، فى كتابه: «مع الله»:

«الخطابة فى الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التى تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، ويتنقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر»..

إلى أن يقول:

«وهذا هو السر فى أن نبىَّ الإسلام ﷺ كان يخطب كل أسبوع وكل عيد، ويخطب - أو يُنيب عنه أميراً يخطب - فى وفود الحجيج عند جبل الرحمة».

ثم يقول بعد ذلك موضحاً مكانة الخطيب وحقيقته التى يجب أن تكون علامة مميزة لكل من يريد أن يرقى منبر الرسول ﷺ بصورة مشرِّفة له وللإسلام والمسلمين:

« الخطيب الذى يصلح للتحدث عن الإسلام: رجل خبير بالحياة وعللها، مكين فى الوحى الأعلى ..

يأخذ منه.. ما يشفى علل الناس ويصلح بالهم.

ما يتألّف به نافرهم ، ويسكّن ثائرهم .

ما يدحض به نزعات الإلحاد، ويحبط كيد الشيطان .

ما ترقُّ به القلوب القاسية، وتنفرج به الأسارير المنقبضة .

ما يشعر الناس بعد الانصراف عنه: أنهم فقراء إلى الله، ومحتاجون إلى هداياته، لا بصيرة لهم إلا منه، ولا ملجأ إلا إليه » .

هذا ولما كان الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه هو أعظم خطيب على وجه الأرض ، من يوم أن خلق الله الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

فقد رأيت ـ بعد هذا التقديم الموضوعى ـ أن نقف جميعاً على بعض النماذج من خطبه صلوات الله وسلامه عليه ، وخطب خلفائه الراشدين عليهم جميعاً رضوان الله ؛ حتى نتعلم منها كيف تكون الخطابة ، وكيف يكون الإرشاد فى أسمى معانيه ، وقبل ذلك فإننى أرى أولاً أن نقف على هدى الرسول ﷺ فى خطبه .

قال فى « زاد المعاد » مشيراً إلى هذا الهدى المحمدى :

« كان ﷺ إذا خطبَ احمرَّتْ عيناه ، وعَلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه كأنه منذرُ جيشٍ يقول صَبَّحَكُمْ ومَسَّاكُمْ»،ويقول :«بُعثت أنا والسّاعة كهَاتين» ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدى هدىُ محمد ، وشرُّ الأمور مُحْدَثاتُها، وكلُّ بِدْعة ضَلالةٌ » . ثم يقول : « أنا أَوْلَى بكلِّ مؤمنٍ مِنْ

نفسه ، مَنْ ترك مالاً فلأهله ، ومَنْ ترك دَيْنًا أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ»(١) .

وفى لفظ : **كانت خطبة النبى ﷺ يوم الجمعة، يحمد الله ويثنى عليه ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته** . . فذكره (أى : الحديث) .

وفى لفظ : **يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله** . ثم يقول :

«مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضللْ فلا هادِيَ له، وخيرُ الحديث كتابُ الله» .

وفى لفظ النسائى : **«وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلّ ضلالةٍ فى النار»** .

وكان يقول فى خطبته ، بعد التحميد والثناء والتشهد : **«أما بعد »** . . وكان يقصر الخطبة ، ويطيل الصلاة ، ويكثر الذكر ، ويقصد الكلمات الجوامع . وكان يقول :

« إن طولَ صلاة الرجل وقِصَر خطبته مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِه»(٢) .

وكان يعلِّم أصحابه فى خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ، ويأمرهم وينهاهم فى خطبته إذا عرض له أمر أو نهى ، كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلى ركعتين ، ونهى المتخطى رقاب الناس عن ذلك وأمَره بالجلوس .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أى أن قصر الخطبة علامة على فقه الرجل . . وهو بعض حديث أخرجه أحمد ومسلم عن عمار بن ياسر .

وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض أو لسؤال أحد من أصحابه، فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فيتمُّها .

وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ثم يعود فيتمُّها ، كما نزل لأخذ الحسن والحسين ـ عليهما رضوان الله ـ وأخذهما ثم رقى بهما المنبر فأتمَّ خطبته .

وكان يدعو الرجل فى خطبته، يقول : اجلس يا فلان، صَلِّ يا فلان .

وكان يأمرهم بمقتضى الحال فى خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمَرهم بالصدقة وحضَّهم عليها .

وكان يشير بإصبعه السبابة فى خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه .

وكان يستقى لهم إذا قحط المطر[1] فى خطبته .

وكان يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس، فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه، ولا لبس طيلسان، ولا طرحة[2] ولا سواد، فإذا دخل المسجد سلّم عليهم، فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلّم عليهم، ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس، ويأخذ بلال فى الأذان . فإذا فرغ منه قام النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره، ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره، وإنما كان يعتمد

(١) قحط المطر ، أى : احتبس .

(٢) الطيلسان : من لباس العجم ، والطرحة والطيلسان مترادفان .

على قوس أو عصاً قبل أن يتخذ المنبر، وكان المنبر ثلاث درجات، وكان قبل اتخاذه يخطب إلى جذع يستند إليه، ولم يوضع المنبر فى وسط المسجد، وإنما وضع فى جانبه الغربى قريباً من الحائط، وكان بينه وبين الحائط قَدْر ممرِّ الشاة، وكان إذا جلس عليه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى غير الجمعة، أو خطب قائماً فى الجمعة، استدار أصحابه إليه بوجوههم، وكان وجهه قِبَلهم فى وقت الخطبة، وكان يقوم فيخطب ثم يجلس جلسة خفيفة، ثم يقوم فيخطب الثانية، فإذا فرغ منها أخذ بلال فى الإقامة.

وكان يأمر الناس بالدنوِّ منه ويأمرهم بالإنصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه: أنْصِتْ، فقد لَغَا، ويقول: «**مَنْ لَغَا فَلا جُمُعَةَ له**». اهـ.

وإليك بعض الأحاديث الواردة فى هذا:

* عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان إذا دنا من المنبر سلّم على من عند المنبر ثم صعد، فإذا استقبل الناس بوجهه سلّم ثم قعد.

(أخرجه ابن عدىّ والطبرانى، وفى سنده عيسى بن عبد الله الأنصارى، وفيه مقال، وذكره ابن حبان فى الثقات، وأخرجه البيهقى وحسَّنه بلفظ: **كان رسولُ الله ﷺ إذا دَنَا من مِنبره يومَ الجمعةِ سلّم**

على مَنْ عنده مِنَ الجُلوس ، فإذا صعدَ المنبرَ استقبلَ الناسَ بوجهه ثم سلّم قبلَ أنْ يَجلسَ) .

* وعن ابن عمر : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجلسُ إذا صعدَ المنبرَ حتى يفرغَ المؤذّن (الحديث) (أخرجه البخارى وغيره) وهذا مُجْمَعٌ عليه .

* وعن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطب يوماً فقال :

« إنَّ الحمدَ لله نَستعينُه ونَستغفرُه ، ونستهديه ونَستنصرُه ، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسنا ومِنْ سيِّئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مضلَّ له ، ومَنْ يُضللْ فلا هاديَ له ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، مَنْ يُطعِ اللهَ ورسولَهُ فَقدْ رشدَ ، ومَنْ يَعْصِ اللهَ ورسولَهُ فَقدْ غَوَى حتّى يَفِيءَ إلى أمرِ الله» .

(أخرجه الشافعى فى مسنده)

* وقال جابر بن سمرة : «صليت مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكانتْ صلاتُه قَصْداً وخطبته قَصْداً[1] ، يقرأ آياتٍ من القرآن ويذكّر الناس» .

(أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه)

---

(١) القصد فى الشىء : الاعتدال وترك التطويل .

* وقال: **كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يطيلُ الموعظةَ يومَ الجمعةِ، إنما هى كلماتٌ يسيراتٌ.**

(أخرجه أبو داود والحاكم والبيهقى بسند رجاله ثقات)

* وقال عبد الله بن أبى أوفى: **كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يطيلُ الصلاةَ ويقصرُ الخُطبةَ.**

(أخرجه النسائى بسند صحيح)

* * *

* قال النووى فى «المجموع»:

يُستحب تقصير الخطبة حتى لا يملَّها الناس، ويكون قصرها معتدلاً ولا يبالغ فيه بحيث يمحقها، ويستحب للخطيب ألا يحضر للجمعة إلا بعد دخول الوقت بحيث يشرع فيها أول وصوله المنبر، لأن هذا هو المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإذا وصل المنبر صعده ولا يصلى تحية المسجد، وتسقط هنا التحية بسبب الاشتغال بالخطبة، كما تسقط فى حق الحاج إذا دخل المسجد الحرام بسبب الطواف.

(وقال جماعة من أصحابنا):

تستحب له تحية المسجد «ركعتان عند المنبر». والمذهب أنه لا يصليها لأن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يُنقل عنه أنه

صلاّها . (وحكمته) ما ذكرته ، ولم يذكر الشافعى وجماهير الأصحاب التحية ، فظاهر كلامهم أنه لا يصليها . . اهـ .

* * *

* وقال فى « الدين الخالص »[1] تحت عنوان :

مكروهات الخطبة

* يكره فيها ترك سنة من سنن الخطبة ، وتغميض الخطيب عينيه ، ودقُّه المنبر بما فى يده من قوس أو عصاً . . قال النووى : وهذا باطل لا أصل له ، وبدعة قبيحة .

* ويكره رفع يديه حال الدعاء بل يقتصر على رفع السبابة ، لقول حصين بن عبد الرحمن السلمى : كنت إلى جنب عمارة بن رؤيبة السلمى وبشر[2] يخطبنا ، فلما دعا رفع يديه ، فقال عمارة : قبَّح الله هاتين اليدين - أو اليديّتين[3] - **رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم وهو يخطبُ إذا دعا يقول هكذا ، ورفع السَّبَّابة وحدها** .

(أخرجه أحمد ، ومسلم ، والبيهقى ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى) .

---

(١) الجزء الرابع .

(٢) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية .

(٣) بضم ففتح وشد الياء التحتية المفتوحة مصغراً ، وهو رواية الترمذى .

* ويكره دعاء الخطيب إذا صعد المنبر قبل جلوسه وربما توهَّم بعض جهلة الخطباء أنها ساعة إجابة الدعاء، وهذا خطأ .

* قال النووى فى «المجموع» : (ومنها) أى : من مكروهات الخطبة، الالتفات فى الخطبة الثانية عند الصلاة على النبى ﷺ وهو باطل مكروه . (ومنها) المجازفة فى أوصاف السلاطين فى الدعاء لهم ، وكذبهم فى كثير من ذلك كقولهم : السلطان العادل ونحوه . (ومنها) مبالغتهم فى الإسراع فى الخطبة الثانية وخفض الصوت بها . . اهـ .

* ويكره للخطيب التكلم حال الخطبة بكلام دنيوى، كما فى الأذان والإقامة، بل أولى .

* ويكره له الإتيان بالكلمات المشتركة والألفاظ البعيدة عن أفهام السامعين، لقول على رضي الله عنه :

«حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبُّون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولُه[1]؟» .

(أخرجه البخارى فى «كتاب العلم»)

* * *

* * ثم يقول فى « الدين الخالص » :

« وعليه ؛ فيطلب من الخطيب مراعاة حال الناس وتحذيرهم مما هم فيه غارقون من البدع والمخالفات ، وأن لا يلتزم فى خطبته الطرق

(١) أى أن الشخص إذا سمع ما لم يفهمه منسوباً إلى الله ورسوله ﷺ فلا يصدّقه ويلزمه تكذيبهما .

العتيقة من التزام السجع والاهتمام بتحسين اللفظ وترك ما تقتضيه حال الحاضرين ، فإن التزام السجع قد يفوّت عليه مقصوده ، ولولاه لأدَّى كل إنسان مراده بما يقدر عليه فيعم النفع» . .

هذا . . وإذا كان لى بعد هذا التقديم المهم حول التعريف بالخطابة حتى يكون الخطيب على علم بكل تلك الأساسيات . . (فإننى) أرى أن أبدأ الآن بعرض النماذج الحية من : (خطب الرسول ﷺ) بالإضافة إلى شرحها والتعليق عليها . . مع الدعاء لنا وله بالتوفيق والسداد فى الخطابة بها . . والعمل على تنفيذها : فى نفسه . . وفى بيته . . وفى ميادين عمله . . وفى سلوكياته . . (بل) وفى تنفيذه لجميع أركان الإسلام بكل إخلاص وإتقان . . إلخ .

والله ولى التوفيق .

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى